الهجرة النبوية واليهود في الجزيرة العربية

لسماحة الاستاذ الشيخ ابراهيم السلطان
(عضو المجمع)

١ ـ جاء الاسلام فوجد امما قوية مختلفة قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح ، وتسخير الناس بالظلم والطغيان والجبروت ، وكانت على عقائد خرافية تتفانى في الذّب عنها . فأتى بدين قويم ، فيه ارقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على اسمى الاصول الادبية .

والعالم كله يعلم ان العرب كانوا على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبائل متفرقة ، واوزاعا متنافرة ، لا توحد بينهم دين ولا تضمهم جامعة . وكانت بينهم حروب متوارثة ، وبين وَثَنيات قائمة على اعتبارات جاهلية ، يعتبرون هذا كله من مفاخرهم ، لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكونوا قادرين على النظر او التفكير في تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الى العالم بالهدى ودين الحق ، انكروه غاية الانكار ، وثاروا عليه ثورة عارمة ؛ فرموا الرسول الكريم بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، ورموه بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُم ، وَقَالَ

الكافِرُونَ هٰـذَا سَاحِرٌ كَذَّاب ، أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً ، إِنَّ هٰـذَا لَشَيْءٌ عُجَاب . وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُم إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، ما سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي المِلَّـةِ الآخِرَةِ ، إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِـلاق »(١) .

وقال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِين ، وما آتَيْنَاهُم مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، ومـا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِـنْ نَذِير »(٢) .

ومكث الرسول الكريم في هذه البيئة المستعصية ، يحاول ان يهديهم بالقرآن الكريم ، تارة يرغبهم ، ويرهبهم تارة اخرى . ويعدهم ويوعدهم ، ويضرب لهـم الامثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلاّ عتوّاً واستكباراً وعناداً ، ونفوراً مـن الحق وإنكاراً . وقد مكث فيهم ثلاث عشرة سنة لم يترك خلالها وسيلة الا اتّبعها ، وهم مصرّون علـى العناد ، يؤذونه شر ايذاء ويؤذون اصحابه ، ويعذّبون المستضعفين منهـم اشد العذاب ؛ فصبر على ذلك كله ، وهو يدعو لهم ويقول : « اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون » . ثم امر اصحابه بالهجرة ؛ فهاجر بعضهم الى الحبشـة .

ولما لم يجد من قومه استجابة ، عرض نفسه على قبائل العرب التي كانت تحج الى مكة ، فلم يستجيبوا له ، ولم يأبهوا لدعوته .

وفي موسم مـن مواسم الحج قابـل بعضا من رجال الاوس والخزرج من سكان يثرب ، فقبلوا دعوته ، ووعدوه بعرض امره

---

(١) سورة ص ، الآيات ٤ ــ ٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٤٣ ، ٤٤ .

على قومهم ، وقد كان اليهود بيثرب يقولون لهم اذا اختلفوا معهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه . فلما لقي النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أولئك النفر ودعاهم الى الله ، نظر بعضهم الى بعض وقالوا : والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه .

وعاد هؤلاء النفر الى المدينة ، ومن بينهم اثنان من بني النجار ، من اخوال عبد المطلب ، فذكروا لقومهم اسلامهم ، فأسلموا فأووا منشرحة ، ونفوسا متلهفة لدين يجعلهم موحدين كاليهود ، بل سبقوهم خيرا منهم ؛ فلم تبق دار من دور الاوس والخزرج جميعا الا فيها ذكر محمد ، عليه الصلاة والسلام .

فلما استدار العام ، وعادت الأشهر الحُرُم ، وعاد الحج لمكة ، أتى الموسم اثنا عشر رجلا من أهل يثرب ، فالتقوا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالعقبة في منى ، فبايعوه بيعة العقبة الأولى .

وبعث النبي الكريم معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين،فازداد الاسلام انتشارا . وأقام مصعب بين المسلمين من الأوس والخزرج يعلّمهم دينهم . ولما كان الموسم للحج ، حج عدد كبير من أهل يثرب ، وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلما : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . والتقوا مع الرسول الكريم عند العقبة ، وكان معه عمه العباس بن عبد المطلب ، فبايعوا النبي على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم .

٢ ــ وبعد هذه البيعة أمر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أصحابه أن يهاجروا الى المدينة . وبدأ المسلمون يهاجرون فرادى او نفرا

قليلا حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم . وحاول رجال من قريش أن يردوا من استطاعوا رده من المهاجرين الى مكة ، ليفتنوه من دينه ، أو ليعذبوه وينكلوا به . وتتابعت مع كل هذا هجرة المسلمين الى يثرب ، والنبي ، عليه الصلاة والسلام ، مقيم ، ولا يعرف احد هل اعتزم الاقامة أم قرر الهجرة . وبعد ذلك هاجر الى المدينة هو وابو بكر ، ووصلا الى المدينة بعد رحلة مضنية ، حفّتها اخطار كثيرة ، وكان الاسلام قد انتشر في المدينة .

ومثل النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، الى المدينة يوم الجمعة ، فصلّاها بالمدينة . واقبل عليه المسلمون بيثرب ، وكل يحاول أن يراه وان يقترب منه ، وان يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به ولم يره من قبل ، والذي امتلأت مع ذلك نفسه بحبّه والايمان برسالته . وركب ناقته والقى لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب ، والمسلمون من حولها في حفل حافل يُخلون لها طريقها ، وسائر اهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون الى هذه الحياة الجديدة التي دُبَّت في مدينتهم ، والى هذا القادم العظيم الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج ، الذين كانوا من قبل اعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر احدهم ما أعدَّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة يبقيان على الزمن .

واول شيء عمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة هو بناء مسجده ومسكنه الى جوار المسجد ؛ وكان المسجد هو مكان العبادة ، وهو المدرسة ؛ يجتمع فيه المسلمون لتلقي تعاليم الاسلام ، والتفقه في الدين ، وهو النادي يجتمعون فيه ، ويتباحثون في ما يواجههم من حوادث وامور هامة .

٣ ـ وبدأ النبي بتأسيس الدولة الجديدة ، وكان اول عمل بدأ به هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ؛ فكان بعض الانصار يقاسم اخاه من المهاجرين ماله ، وبعضهم يقدّم ما يستطيع من المعونة لاخيه المهاجري . وهكذا تكونت اخوّة بينهم لم يوجد لهـا مثيل في تاريخ البشريـــة .

وكانت مهمة الرسول الكريم شاقة ومتعبة ؛ فقد كان في المدينة ثلاث فئات من السكان هـم : المسلمون من المهاجرين ، والانصار من الاوس والخزرج ، واليهود ، وهم قبائل مختلفة ، ولهم ثقل كبير ووزن في السياسة والاقتصاد والقتال ، فكان لا بد من تجنب شرهم . وكسب صداقتهم لمواجهة ما يتوقعه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، من عدوان قريش ومن يحالفهم من العرب الذين لم يدخلوا الاسلام . والفئة الثالثة لم تحـدد موقفها ، فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم كاذبون منافقون ، يظهرون خلاف ما يُسرّون . وقد بيّن القرآن الكريم هذه الفئات الثلاث في أول سورة البقرة ، بقوله تعالـى : « الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ » هذه الفئة الاولى وهم المسلمون .

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ، وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وهذه هي الفئة الثانية وهـم اليهود .

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ؛ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ؛ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ ؛ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ؛ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ؛ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ؛ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ؛ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ؛ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ؛ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّـهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . وهـذه هي الفئة الثالثة وهم المنافقون ، وشياطينهم اليهود .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في أربع آيات ، والكافرين من اليهود في آيتين ، ووصف المنافقين في ثلاث عشرة آية .

٤ ـ فكان على الرسول الكريم ان ينظّم العلاقات بين المسلمين واليهود ، فعقد أول معاهدة دولية بين اليهود والمسلمين ؛ وهي من انفس العقود الدولية وأمتعها ولحقّها بالنظر والتقدير من الناس كافة ، وأولاها بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفيهم من أهل الأديان الأخرى . وكان في عقدها ابتداء الدولة

الاسلامية ، وابتداءُ الاعتراف بالمسلمين دولةً مستقلةً لها كيانها واصولهـــا .

وهذه الوثيقة هي عقد حُسْنِ جوار وتحالفٍ دفاعي ، وتعاونٍ ضد العدوان ؛ يتكافل الموقعون عليهـا على نصرة بعضهم بعضا ، وحماية عقائدهم ممن يريد اوطانهم او جماعتهم بسوء ؛ وهـم بذلك يكفلون حرية العقيدة،وحرية الدعوة لاعضاء الميثاق نفسي تباين معتقداتهم . وهذا هـو الميثاق العظيم :

بســم اللــه الرحمــن الرحيــم

١ ــ هذا كتــاب من محمد النبي « رسول اللــه » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، واهل يثرب ومـن تبعهم فلحق بهم وجاهـد معهـم .

٢ ــ انهم امــة واحدة من دون الناس .

٣ ــ المهاجرون من قريش على رَبْعَتهم « امرهم الذي كانوا عليه » يتعاقلون بينهم ، وهم يفـدون عانيهم (اسيرهم) بالمعروف والقسط بيــن المؤمنين .

٤ ــ وبنو عوف على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ــ وبنو الحارث مــن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفــدي عانيها بالمعروف والقسط بيــن المؤمنيـــن .

٦ ــ وبنو ساعدة على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ — وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ — وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ — وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ — وبنو النَّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ — وبنو الأوس على ربعتهم الأولى يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ — وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا (وهو من اثقله الدين) ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ — وأن المؤمنين المتّقين ايديهم على كل من بغى منهم او ابتغى دَسيعة ظلم (طلب دفعا على سبيل الظلم ، او ابتغى عطية على سبيل الظلم) او اثماً او عدواناً او فساداً بين المؤمنين ، وأن ايديهم عليه جميعا ولو كان وَلَدَ احدهم .

١٤ — ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ — وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم اولياء بعض دون الناس .

١٦ — وأنه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ــ وأن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .

١٨ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا . « يعني يكون الغزو بينهم مناوبة،يعقب بعضهم بعضا فيه » .

١٩ــ وأن المؤمنين يبيءُ بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . ــ باء فلان بفلان : قتل به ــ (يعني ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فيما ينال دماءهم) .

٢٠ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى واقومه ؛ وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ــ وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قَوَدٌ به ؛ إلاّ ان يرضى وليّ المقتول بالعقل ؛ وان المؤمنين عليه كافة ، لا يحل لهم الا قيام عليه .

(اعتبطه : قتله بلا جناية او جريرة توجب قتله . قَوَد به : فان القاتل يقتل به) .

٢٢ــ وأنه لا يحلّ لمؤمن أقَرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، ان ينصر محدثا او يؤويه ؛ وأنه من نصره او آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

(المحدث هنا : الجاني ، المجرم . لا يقبل منه صرف ولا عدل : والصرف : التوبة . والعدل : الفدية) .

٢٣ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مَرَدَّه الى الله والى محمد .

٢٤ــ وأن اليهود يُنْفِقُون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ــ وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، موالِيهم وانفسهم ، الا من ظلم أو اثم فانه لا يُوتِغُ الا نفسه واهل بيته .

(يُوتِغ : يهلك ويفسد) .

٢٦ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ــ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ــ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ــ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١ــ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلاّ من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته .

٣٢ــ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣ــ وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وأنّ البرّ دون الاثم .

٣٤ــ وان موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥ــ وان بطانة يهود كأنفسهم . (بطانة الرجل : اهله وخاصته) .

٣٦ــ وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ؛ وانه لا يَتحجَّر على ثأر جرح ؛ وانه من فتك فبنفسه واهل بيته ، الا من ظلم ، وان الله على ابر هذا . (لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثأر) .

٣٧ــ وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وان بينهم النصر على من حارب اهل هـذه الصحيفة ؛ وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ؛ وانه لا يأثم امرؤ بحليفـه ؛ وان النصر للمظلـوم .

٣٨ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ــ وأن يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة .

٤٠ــ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ــ وأنه لا تجار حرمة الا باذن اهلها .

٤٢ــ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى اللـه والى محمد رسول الله ؛ وأن الله على أتقى ما في هـذه الصحيفة وابره .

٤٣ــ وأنه لا تجـار قريش ولا من نصرها .

٤٤ــ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ــ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلـك فانه لهم على المؤمنيـن ، الا مـن حارب في الديـن ، على كـل اناس حصتهم مـن جانبهم الذي قبلهم .

٤٦ــ وأن يهود الأوس مواليهم وانفسهم علـى مثل ما لاهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة ؛ وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه ؛ وأن اللـه على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره .

٤٧ــ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ؛ وأنه مـن خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلاّ من ظلـم وأثم ؛ وأن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله . (« الرسالة الخالدة ، نقلا عن كتاب الوثائق السياسية في العهـد النبوي والخلافة الراشدة » الدكتور محمد حميد الله الحيدر ابادي ، استاذ الحقوق الدولية بجامعة حيدر اباد دكن) .

٥ ــ هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، منذ الف وأربعمائة سنة ، والتي تقرر حرية العقيدة ، وحرية الراي ، وحرمة المدينـة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة . وهي فتح جديـد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ، ذلك العالم الذي كانت تعبث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يـد الظلم فسادا . ولئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، فانهم ما لبثـوا بعد قليل ان وقّعوا بينهم وبيـن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، صحفا مثلهـا .

فقد قال ابن هشام في السيرة : ان يهود بني قينقاع كانـوا اول من نقض العهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (جزء ٣ ص ٤٧) . وايد ذلك ابـن سعد في طبقاته (جزء ٣ ص ٦٨) والمقريزي في امتاع الأسماع ، والطبري في الجزء الثالث من تفسيره . واصبحت المدينة ومـا وراءها حرما آمنا لاهلها ، عليهم ان ينضحوا عنها ويدفعوا كـل عادية عليها ، وان يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية . « حياة محمـد لهيكـل » .

وفي هذا الميثاق وضع اساس الدولة الاسلامية ، واصبح المؤمنون رعايا هذه الدولة على اختلاف اجناسهم وعشائرهم ، اسيادا وموالي ، امة واحدة دون الناس .

هذه الأمة تتعاقد في هذه الصحيفة مع امم اخرى من ديانات اخرى ، فينشأ في أول تعاقد لها ميثاق « لجمعية امم » ، اساسه النصر للمظلوم ، والنصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وحرمة الاوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره ؛ على ان تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم في الدعوة اليها ، مهما تباينت هذه الاديان . ولقد سبق الاسلام بهذا الميثاق عهد « هيئة الامم » الحديثة بأربعة عشر قرنا .

« الرسالة الخالدة » :

فقد ضمنت هذه المعاهدة لليهود فتح باب الاسلام لمن يرغب منهم فيه ؛ كذلك نصت على كفالة الحرية الدينية لهم ، كما نصّت عدة بنود اخرى على أن القبائل اليهودية تُعَدّ هي ومواليها امة من المؤمنين . وكذلكّ نص البند الرابع والعشرون على وجوب اشتراك اليهود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب ؛ وحَرَّم نص اخر على المتعاقدين من مسلمين ويهود مناصرة قريش ، وايواء أحد منهم ، وقرر البند الثاني والاربعون رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود من اجل اشاعة الأمن والطمأنينة في المدينة ، والضرب على ايدي مدبري الفتن . وان اي خلاف ينشأ يُرَدّ الى الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، للبتّ فيه ؛ وقرر البند السابع والاربعين ، وهو الأخير : أن من ارتكب اثما يوجب العقوبة عوقب ، وان اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة.« اليهود نصف شبه الجزيرة ، بتصرف » .

وقد حققت هذه الوثيقة كثيرا من المكاسب لجميع المتعاقدين ؛ فقد وحّدت المدينة تحت قيادة الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، وقوّت صفوف المسلمين أمام عدوهم قريش ، في الوقت الذي أمنوا فيه جانب اليهود .

٦ ـ بعد تلك المعاهدة سكن المسلمون الى دينهم ، وجعلوا يقيمون فرائض دينهم مجتمعين وفرادى ، لا يخافون اذى ولا يخشون فتنة ؛ وصار اهل يثرب جميعا يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة الاسلام ، مرتلة ترتيلا حسنا بصوت بلال الجميل ، وهكذا انقلبت مخاوف المسلمين امنا ، واصبحت يثرب مدينة الرسول الكريم ؛ وَقَوِيَ الاسلام ، واصبح المسلمون يستمتعون من حرية العقيدة بما قرر الاسلام ، من ان ليس لانسان على انسان سيادة ، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى ، وأن الدين لله وحده ، والعبودية له وحده ؛ والناس امام الله سواسية ، لا يجزون الا بأعمالهم ، « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » (النجم ٣٩) .

وانفسح المجال امام النبي الكريم ليعلن دينه القويم ، وليكون بتصرفاته واخلاقه المثل الاعلى ؛ وبذلك وضع حجر الاساس للحضارة الاسلامية ؛ وحجر الاساس هذا هو الاخاء الانساني ؛ إخاء يجعل المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يصل به هذا الاخاء الى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة .

وهكذا تركت تعاليم الاسلام وخلق النبي الكريم في النفوس اعمق الاثر ، وأقبل الناس افواجا على الاسلام . وازداد المسلمون في المدينة قوة ، وهناك بدأ اليهود يفكرون من جديد في موقفهم

من هذا النبي واصحابه ، وبدأت الحرب الباردة . ودعا الرسول الكريم اليهود فيمن دعا الى الاسلام ، وخصهم القرآن بقسط كبير من الآيات لانهم اهل كتاب ، وهم يعلمون من كتبهم صدق رسالته ، وكانوا يستقدون بظهور نبي منتظر من بني اسرائيل ، وكانوا ينتظرون مجيئه ويسألون الله أن يفتح عليهم بهذا النبي الذي وُعدوا به على لسان الرسل ، حتى يتبعوه ويقاتلوا العرب الوثنيين معه ، ويستعيدوا ملك بني اسرائيل في الارض ؛ وكانوا يقولون للعرب بصراحة : ان الله سيبعث النبي المنتظر فيكونون أول من يتبعه . ثم يقاتلون العرب معه ، فيكون لهم بسببه النصر والغلب . ولما لم يأت هذا النبي من بني اسرائيل ، بل جاء من العرب أولاد اسماعيل ، عليه السلام ، حسدوهم ؛ فكفر به غالبية اليهود ، وآمن منهم نفر قليل بهذا الدين الجديد ؛ وهذا ما وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » البقرة ٨٩ .

وقوله تعالى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ؛ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ .

لقد عقد اليهود مع النبي عهدا ، وكانوا يطمعون في ان يضموه الى صفوفهم ، وأن يزدادوا به منعة وقوة ؛ ودعاهم النبي الى الاسلام فاستكبروا ؛ وجادلهم ، وكان يزورهم في « مدارسهم » (١) ويجادلونه ، واعرضوا عن دعوته ، وتصدوا له العداء ، واخذوا بمكرهم يُكذّبونه ، ويؤلبون عليه العرب ، ولا يدعون سبيلا من

---

(١) مدارسهم : مكان دراستهم وتعليمهم التوراة .

سبل الكيد لـــه ولرسالته الا سلكوه ؛ مع أن الرسول الكريم أمّنهم في عهـــده على حريتهم الدينيـــة ، وطقوسهم ومعابدهم ومدارسهم وأموالهم وحقوقهـــم ، وابقاهم علـــى محالفاتهم مـــع بطون الاوس والخزرج ، واوجـــب لهم النصرة والحماية ، مشترطـــا عليهم ان لا يغدروا ، ولا يتجسسوا ، ولا يعينوا عـــدوا ، ولا يمدوا يـــدا بأذى . لكنهم مـــا لبثوا ان تطـــيّروا بقدوم هذا النبي العربـــي ، وغلى الحسد والحقد في قلوبهم ، واخذوا ينظرون اليـــه بعيون متوجسة حانقة ، تخشى رسوخ قدمـــه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العـــداء الدموي الطويل الذي كـــان بينهم ؛ وكـــان اليهود يستغلونه ويفيدون منـــه ، ويحقّقون لانفسهم كثـــيرا من المصالح والمنافـــع والامتيازات التي كانـــوا يتمتعون بهـــا ، ويجنون ثمراتها ، وفـــي مقدمتها المصالح الاقتصادية ؛ فقد كان اليهود فـــي الحجاز أفضل مـــزارع النخيل التي كانت أهـــم الثروات المستقرة يومئـــذ في المنطقة ، وكانـــوا يعاملون الناس بالربـــا ، ويستعبدونهم ويمتصون دماءهم . « **مكايد يهودية عبـــر التاريخ** » .

تحدثنا صفية بنـــت حُيَيّ بن اخطـــب ، زوجـــة الرسول الكريم ، وكـــان ابوهـــا من اكبر احبار يهود بني النضير ، تقـــول : كنت أَحَبَّ وَلَد ابـــي اليه والى عمي ابي ياسر ، لـــم ألْقَهما قَط مع ولد لهما الا اخذاني دونـــه . فلما قَدِم رسول اللـــه ، صلى الله عليه وسلم ، المدينـــة ، ونزل بقبـــاء في بني عمرو بـــن عوف ، ذهب اليـــه ابي وعمي في الصباح الباكـــر ، ولم يرجعا حتى كان مـــع غروب الشمس ، فأتيا كالّيـــن كسلانين ساقطيـــن يمشيان الهوينى مـــن التعب .

قالت وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن اخطب : اهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . هذا الخبر رواه مسلم كتب الحديث ؛ وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق : وكان حيي بن اخطب واخوه ابو ياسر بن اخطب من اشد يهود العرب حسدا للرسول الكريم ، وكانا يجاهدان في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا . فانزل الله تعالى فيهما قوله : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ، حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ؛ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » البقرة ١٠٩ .

وهذا عبد الله بن سلام ، كان حبرا عالما من كبار احبار اليهود وعلمائهم ، روى قصته البخاري ومسلم ، والامام احمد في مسنده ، وابن هشام في سيرته ، وكثير من المحدثين ، وملخصها : لما سمعت برسول الله ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقبه ، فكنت مسرًّا لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم المدينة ؛ فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبّرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خيّبك الله ! والله لو كنت سمعت بموسى ابن عمران قادما ما زدت ؛ قال : فقلت لها : اي عمة ، هو والله اخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به . فقالت : اي ابن اخي ، اهو النبي الذي كنا نُخبَر انه يُبعث ؟ قال : نعم . قال ، ثم ذهبت الى رسول الله فأسلمت ، ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم فأسلموا ، وكتمت اسلامي ؛ ثم جئت رسول الله فقلت له : ان اليهود قوم بُهت ، يقولون على المرء ما

ليس فيه ، واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك ، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامي . فادخله الرسول الكريم بعض بيوته ، ونادى بعض رؤوس اليهود ، فدخلوا عليه وكلموه . ثم قال لهم : اي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ -وهذا اسمه قبل ان يسلم - قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ؛ فقال : فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله ، واقبلوا ما جاءكم به محمد ؛ فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا في التوراة باسمه وصفته ؛ فاني اشهد انه رسول الله ، واومن به واصدقه واعرفه .

فقالوا : كذبت ؛ ثم وقعوا بي فقالوا : شَرُّنا وابن شَرِّنا ؛ فقلت لرسول الله : الم اخبرك يا رسول الله انهم قوم بُهْت ، اهل غدر وكذب وفجور ؟ .

٧ — ولما اخذت شوكة المسلمين تشتد ، اخذ اليهود يدبرون المكائد الرسول الكريم واصحابه . وما اسرع ما اجتمع اليهم من بقي على الشرك من الأوس والخزرج ، ومن اسلم منهم نفاقا ، وعلى راسهم عبد الله بن أبي ، راس المنافقين . وبدات حرب جدل بين النبي الكريم واليهود اشد لددا واكبر مكرا من حرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة ؛ ففي هذه الحرب الباردة تعاونت الدسيسة والنفاق والعلم بأخبار السابقين ، اقامتها اليهود جميعا ؛ يهاجمون بها محمدا ورسالته واصحابه من المهاجرين والانصار ، ونصبوا العداء للمؤمنين جميعا بغياً وضغناً وحسداً من عند انفسهم ؛ وحمل لواء ذلك العداء احبارهم ا فاخذوا يدبرون مؤامرات عديدة لصد العرب عن قبول دعوة الرسول ،

وفتنة المسلمين عن دينهم ، وإلجائهم الى الضيق السبيل ، والتخذيل عنهم ، وتوهين قواهم .

ودسوا من احبارهم من اظهر اسلامه ، ومن استطاع ان يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ، وصاروا بين الحين والحين يبدون الشكوك والريب ، ويلقي بعضهم على النبي من الأسئلة ما يحسبه يزعزع في انفس المسلمين عقيدتهم به ، وبرسالة الحق التي يدعو اليها . ولم تَخْفَ هذه الامور على المسلمين ، فقد فطنوا لهم وعرفوا غاية سعيهم . ورأوهم مرة في المسجد يتحدثون بينهم خافضين اصواتهم ، قد التصق بعضهم ببعض ، فأمر النبي باخراجهم من المسجد ، فأخرجوا بعنف . ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوشيعة بين المسلمين . « هيكل »

من هؤلاء الذين تظاهروا باسلامهم من احبار يهود بني قينقاع نفاقا وكيدا للمسلمين : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن خريلة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وسلسلة ابن برهام ، وكنانة بن صوريا .

مَرَّ شاس بن قيس ، وهو من شياطين اليهود ، على نفر من الاوس والخزرج في مجلس مجتمعين مسرورين ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال في نفسه : اذا بقي هؤلاء على هذه المودة والتعاون فما لنا معهم من قرار . وامر فتى شابا من اليهود كان معهم ان يتهز فرصة يُذكّرهم فيها يوم بعاث ، يوم انتصر الاوس فيه على الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكّر القوم ذلك اليوم ، وانشد بعض ما قيل فيه من اشعار . فتنازع الاوس والخزرج ، وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض : ان شئتم عدنا الى مثلها . وبلغ النبي ذلك

الامن ، فخرج اليهم ومعه بعض اصحابه ، فذكرهم بما الف الاسلام بين قلوبهم ، وجعلهم اخوانا متحابين ؛ وما زال بهم حتى بكى القوم ، وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جميعا « ابن هشام » .

وقد بلغ الجدال بين اليهود والمسلمين حدًّا كان يصل احيانا الى الاعتداء بالايدي . والمعروف عن ابي بكر ، رضي الله عنه ، دماثة الخلق ومأول الأناة وليس الطبع ، ومع هذا فقد استثاره بعض اليهود حتى ضربه بيده ؛ فقد اجتمع برجل منهم يقال له فنحاص ، من احبارهم ، وجعل يدعوه الى الاسلام ، فرد فنحاص بقوله : « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه أغنياء ، وما هو بغني عنا . ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم » . وفنحاص يشير هنا الى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » سورة البقرة ٢٤٥ . فلم يطق ابو بكر على هذا الجواب صبرا ، فغضب وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت راسك يا عدو الله . وشكا فنحاص امره الى النبي ، وانكر ما قاله لابي بكر ، فنزل قوله تعالى : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؛ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » آل عمران ١٨١ .

لم يكتف اليهود بالوقيعة بين المهاجرين والانصار ، وبين الأوس والخزرج ، ولم يكفهم فتنة المسلمين عن دينهم ، ومحاولة ردهم الى الشرك دون محاولة تهويدهم ؛ بل زادوا على ذلك ان حاولوا فتنة النبي محمد نفسه ، عليه السلام . ذلك ان عددا من احبارهم ،

وهم كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس ، اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : « اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر » . فذهبوا اليه وقالوا : « يا محمد ، انك عرفت امرنا ومنزلتنا ، وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، ونريد ان نتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ، فنؤمن بك ونتبعك » . فرفض النبي الكريم عرضهم ، وأبى ان يحكم بينهم الا بالحق اذا تحاكموا اليه . وانزل الله فيهم قوله : « وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ؛ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » المائدة ٤٦ ، ٥٠ .

ومن امثلة المكايد التي كانوا يدبرونها ما تحدثنا به كتب السيرة ، ان طائفة من اليهود تذاكروا فيما بينهم امر دبروا مكيدة الدخول في الاسلام اول النهار ، والخروج منه آخره ، ليلتبس العرب المسلمون في ذلك . فقد اجتمع عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ، وهو من يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما انزل على محمد واصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم ؛ ففضح الله مكيدتهم هذه وانزل فيهم قوله تعالى : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا

إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ . قُلْ : إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ ، أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ قُلْ : إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » آل عمران ٧١ ــ ٧٣ .

ولا يتسع المقام لسرد جميع اخبارهم ومكائدهم في تاريخهم مع الرسول الكريم واصحابه ، فانها اخبار طويلة جدا . ومن نظر في امر اليهود اليوم ، وما يثيرونه في العالم من فتن ، وما يختلقونه من اكاذيب ودعاوى باطلة ، ويبكون ويتباكون كذبا وزورا ، وينشرون الفساد في الارض في مختلف انواع الطرق ، والحيل الشيطانية ، حتى لا يكاد الباحثون يجدون مكرا في الارض الا وقد سبق اليهود الى اكتشافه ، ووضعه ضمن قائمة خطط مكرهم ، « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ » ابرهيم ٤٦ . ومن نظر في امرهم يجد انهم هم هم في كل مكان وكل زمان .

٨ ــ الحرب الضارية بين النبي الكريم واليهود . شعر اليهود والمنافقون بعد معركة بدر بتزايد قوة المسلمين ، وقامت قيامتهم ، وبدا بعضهم يرسل الاشعار في التحريض عليهم ، وسلطوا شاعرين من شعرائهم ، هما ابو عفك ، وكعب بن الاشرف .

اما ابو عفك فقد كان شيخا كبيرا يقول الشعر ، فاخذ يسلط لسانه بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والتحريض على قتاله . وقد كان الشعر في العرب اهم وسيلة اعلامية تحرض على الحرب . فثارت ثائرة احد المؤمنين ، واسمه سالم بن عمير ، فنذر ان يقتله او يموت دونه ، فما زال يتربص به حتى قتله .

واما كعب بن الاشرف فقد كان امره اخطر من ابي عفك ، لما له من جاه ومنزلة عند قومه وعند العرب . فانه لما بلغه خبر

انتصار المسلمين في بدر ، ومقتل صناديد قريش ، قال : « الحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها » .

واخذ يسلط لسانه على الرسول والمؤمنين ، واعلن نقض العهد ، وذهب الى مكة ، وجعل يحرض على رسول الله ، وينشد الاشعار ويبكي فيها من قتل في بدر من المشركين ؛ ثم رجع الى المدينة مجاهرا بعداوته ، وجعل يقول الاشعار في نساء المسلمين ، ويشبب بهن حتى كان منه اذى بالغ . فأهدر دمه بما عمل ؛ فانتدب لقتله نفر من الأوس على رأسهم محمد بن مسلمة ، فذهبوا الى حصن كعب واستنزلوه منه وقتلوه . وبمقتل هذين الشاعرين اللذين تصديا للرسول وللتحريض عليه وهجوه ، واعلان عدائهما له ، خمدت ألسنة التحدي ، وانطفأت جذوة الشر . ولكن الرسول الكريم كان دائما متيقظا ، محترسا منهم ، وعلى علم بما يمكرون ويكيدون .

وكان لليهود في المدينة وحولها ثلاثة معاقل كبيرة ، هي بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وفي شمال المدينة : خيبر ، ووادي القرى ، وفدك ، وتيماء .

بنو قينقاع : بعد مقتل كعب بن الاشرف ازدادت مناوأة اليهود ، واضمروا الشر للنبي وللمسلمين . وفي هذه الاثناء قدمت امراة من العرب الى سوق لليهود من بني قينقاع تريد أن تشتري حلية ، وجلست الى صائغ منهم ، وكانت محجبة ، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها ، ويطلبون منها أن تكشف وجهها ، والمراة تأبى ذلك ؛ فعمد الصائغ اليهودي الى طرف من ثوبها من خلف

وعقده الى ظهرها وهي جالسة ، دون ان تشعر المراة بما فعل . فلما قامت انكشفت عورتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وقام جماعة من اليهود وقتلوا المسلم ، فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فجاء الرسول الكريم الى سوقهم ، وجمع اليهود ، وطلب اليهم ان يكفوا عن اذى المسلمين ، وان يحفظوا عهد الموادعة او ينزل بهم ما انزل بقريش . فاستخفوا بوعيده وقالوا : « يا محمد ، لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

فانزل الله تعالى فيهم قوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ؛ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » آل عمران ١٢ — ١٣ (ابن هشام) .

وكان عملهم هذا بمثابة الانذار العلني ، المتضمن استعدادهم لمحاربة الرسول . وعندما سمع الرسول بحادث المراة نبذ عهدهم ، ودعا المسلمين الى قتالهم ؛ فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة . والقى الله في قلوبهم الرعب ، ولم يستطيعوا ان يظهروا لقتال المسلمين . ولما طال عليهم الحصار ، نزلوا على حكم الرسول الكريم والتسليم بقضائه . فتقدم عبد الله بن ابي بن سلول ، راس المنافقين ، وحليف بني قينقاع ، فقال : يا محمد،احسن في موالي - وما زال يلح الى الرسول حتى اذن بأن يجلوا عن المدينة ،

وأن يأخذوا أموالهم وانقالهم وخفيف السلاح . فخرجوا الى الشام ، ونزلوا باذرعات ، واستراح المسلمون منهم .

بنو النضير : هدأت احوال اليهود من بني النضير وبني قريظة ظاهرا بعد اجلاء بني قينقاع ، الا ان بواطنهم ما زالت تجيش بالحقد والعداوة . وحدث ان رجلا من المسلمين اسمه عمرو بن امية الضمري قتل رجلين مشركين من بني عامر ، وهو لا يعلم أن معهما عهدا من الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فقام الرسول بجمع ديتهما ، وذهب الى بني النضير مع عدد من اصحابه . وجلس معهم يكلمهم في ذلك ، فأظهروا القبلة وحسن الاستعداد لاجابته . ولكنهم أبطأوا ، واحس أن هناك مؤامرة تدبر . وفعلا كان هناك مؤامرة لقتل الرسول الكريم ؛ فقد دخل احد رجالهم ، واسمه عمر بن جحاش بن كعب ، البيت الذي كان محمد مستندا الى جداره ، ليلقي عليه صخرة يقتله بها ، وفي تلك اللحظة انسحب النبي عليه الصلاة والسلام من مكانه ، تاركا اصحابه وراءه وهم يظنون أنه قام لبعض حاجته ، ومضى الى المدينة . ولما طال انتظار أصحابه ، قاموا في طلبه ، واخبرهم احد المسلمين انه رآه يدخل المدينة ، فلحقوا به ، فأخبرهم أن اليهود كانوا يدبرون مكيدة لقتله . ودعا محمد بن سلمة ، من اصحابه ، وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم : ان رسول الله ارسلني اليكم أن اخرجوا من باده ، فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم من الغدر به ، وقد أجلتهم عشرة ايام ، فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه » « امتاع الاسماع وابن هشام » . وفي ذلك نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » المائدة ١١ .

ومكث اليهود أياما يتجهزون ، فأرسل اليهم عبد الله بن أبي ، راس المنافقين ، بأن لا يخرجوا من ديارهـــم ، وانه سيمنعهم ويحارب معهم ؛ فدخلوا حصونهم وامتنعوا . وانقضت الايـــام العشرة ولم يخرجـــوا .

خرج اليهم رسول اللـــه ومعه اصحابه ، وحاصرهم عشرين ليلة ، وهم يرمون المسلمين بالنبـــل من فوق الجدران . ولم يأت عبد الله بن أبي ؛ فلما يئسوا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ان يؤمّنهم على اموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ؛ فأمنهم على ان لهم مـــا حملت الابل من المـــال والطعـــام ، وعلى ان يتركوا الاسلحة . فخرجوا بنسائهم وذراريهم علـــى الابل ، واجتازوا سوق المدينـــة والنساء وسط الهوادج يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير ، وعلى راسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن ابي الحقيق ، في نحو ستمائة بعـــير . وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن ، وذهبوا الـــى خيبر وبعضهم الى الشام .

وفي بني النضير نزلت سورة الحشر : « هُوَ الَّـــذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّـــهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْـــبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ ؛ فَاعْتَبِرُوا يَـــا أُولِي الأَبْصَارِ » .

ثم تمضي السورة تتحدث عن المنافقين وكذبهم ، فيقول تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ، وَاللَّـــهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛ لَئِـــنْ أُخْرِجُوا لَا

يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ » الحشر ١١ — ١٢ . وتركوا وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من غلال وسلاح وأرض واسعة . وكان نصر الله عظيما . وفي ذلك يقول تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » الحشر ٧ . وفي اجلاء بني النضير ذهب شر كبير . يقول محمد حسين هيكل : « ليس من اليسير أن يقدر الانسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بني النضير عن المدينة ، لما كان يخلفه بقاؤهم من تشجيع عوامل الفتنة ، ومن دعوة المنافقين الى أن يرفعوا رؤوسهم كلما اصاب المسلمين شر ، ومن التهديد بالحرب الاهلية اذا غزا المسلمين غاز من الاعداء » .

بنو قريظة : كانت مؤامرة بني قريظة ونقضهم للعهد من اكبر المؤامرات ، لانها جاءت في وقت من احرج الاوقات على المسلمين . فقد خرج نفر من بني النضير ، على رأسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن ابي الحقيق ، ومعهم من بني وائل هوذة بن قيس ، وابو عمار ، وغيرهم ، وذهبوا الى مكة ، والّبوا قريشا ، وحرّضوهم على قتال محمد واصحابه ، وقالوا لهم انهم مستعدون أن يأتوا من خيبر ليقاتلوا معهم ، وان بني قريظة اقاموا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم . وتشاوروا معهم طويلا ، وسألهم كبار قريش فقالوا لهم : يا معشر يهود ، انكم اهل الكتاب الاول ، واهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ،

وانتم اولى بالحق منـــه . والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالـــى : « أَلَمْ تَرَ إِلَـــى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبـــاً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِيـــنَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَـــنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » سورة النساء ٥١ ــ ٥٢ .

وفي موقف اليهود هذا من قريش ، وتفضيلهم وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، يقـــول الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابـــه « تاريخ اليهود في بـــلاد العرب » : « كان من واجـــب هؤلاء أن لا يتورطوا في مثل هـــذا الخطأ الفاحش ، وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيـــد الاسلامي ، ولو ادى بهـــم الامر الى عدم اجابة مطالبهم . . . الى ان يقول : كان من واجبهم ان يضحّـــوا بحبائهم ، وكـــل عزيز لديهم في سبيـــل ان يخذلـــوا المشركين ، هـــذا فضلا عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انمـــا كانوا يحاربون انفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنـــام ، وبالوقوف منهم موقف الخصومة » .

ولم يكتف حيي بن اخطب واليهود الذين معـــه بهذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، صلى اللـــه عليه وسلم ، بـــل خرجوا يحرضون قبائل العرب ، حتى التفوا حول ابي سفيان ، وخرج بنحـــو عشرة آلاف مقاتـــل قاصدا المدينة فـــي غـــزوة الخنـــدق .

وذهب حيي بن اخطب الى بني قريظة ، يريد رئيسها وقائدها كعب ابن اسد ، الـــذي امتنع عن مقابلته في اول الامر ؛ ولكن حيي بن اخطب الح عليـــه ، ولم يزل بـــه حتى فتح له باب الحصـــن ؛

ثم قال لـــه : « ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وبحر طام ، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه » .

وتردد كعب ، وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده ، ونقض مغبة مـــا يدعوه حيي اليـــه ؛ ولكن حُيَيّاً ما زال بـــه ، يذكر لـــه ما اصاب اليهود من محمد ، ومـــا يوشك ان يصيبهم ناســـه اذا لم تنجح الاحزاب في القضاء عليه ، ويصف له قوة الاحزاب وعتادها وعددها ، وعلـــى رأسها ابـــو سفيان . ومـــا زال بـــه حتى لان كعب ووافقه ، ونقض عهده مع الرسول الكريم والمسلمين ، وخرج من حياده . واجتمعت جيوش الأحزاب حـــول الخندق محاصرين المدينة ، واشتد الامـــر على المسلمين، وضاقت عليهم الدنيا بمـــا رحبت ؛ ودام الحصار نحو عشرين ليلة ، وتخلّفت اليهود من بني قريظة ولم تحارب . واشتد الامر على المحاصرين ، وهبت عواصف ، فقلبت القدور وتوّضت الخيام ، وهطل المطر غزيرا ، ودخل الرعب قلوب المشركين ؛ فقام طليحة بن خويلد الاسدي فنادى : ان محمدا قد بدأكم بشر ، فالنجـــاة النجاة ! وقال ابو سفيان : يـــا معشر قريش ، انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع والخف ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منها ما نكره،ولقينا من شـــدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل. واصبح الصبح ولم يجد النبي منهم احدا ، « وَكَفَى اللَّـــهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » الاحزاب ٢٥ . وفي هذا الموقف يقول اللـــه تعالى في سورة الاحزاب : « يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُـــودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّـــهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الحَنَاجِرَ . وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

وعاد رسول الله والمؤمنون الى المدينة ، ومنها امر الرسول الكريم المؤمنين ان يذهبوا الى بني قريظة . وحاصروا بني قريظة مدة خمسة وعشرين يوما ، لم تقع خلالها حرب الا بعض تراشق بالنبل والحجارة . ولما طال عليهم الحصار بعثوا يطلبون من النبي ، عليه الصلاة والسلام ، ان يتركهم يخرجون الى اذرعات ، على أن لا يأخذوا معهم شيئا ؛ فأبى ذلك الا ان ينزلوا على الحكم ، فقبلوا حكم سعد بن معاذ ، رئيس الأوس وحليفهم ؛ فحكم سعد فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم . ونفذ فيهم الحكم . (سيرة ابن هشام) .

وبذهاب الاحزاب ، والقضاء على بني قريظة ، صفا جو المدينة من اليهود ، وخفت صوت المنافقين ، وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم .

خيبر : كانت غزوة خيبر اخر صدام بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واليهود . وتقع خيبر في شمال الحجاز ، وهي على طريق الشام . واليهود لا يؤمن جانبهم ولا ينفع معهم عهد ولا صلح ؛ وقد خشي الرسول الكريم ان يجمع اليهود بعضهم بعضا ، ويصلهم مدد من هرقل ، ويقوموا بهجوم مباغت على المدينة . فعزم على غزوهم والخلاص منهم .

امر رسول الله الناس بالتجهز لغزو خيبر ، ومضى ومعه الف وستمائة مقاتل . منهم مائة فارس ؛ وقطعوا مراحل الطريق

ما بين خيبر والمدينة في ثلاثة ايام ، وبلغوا امام حصونها . واصبح الصباح ، وغدا عمال خيبر خارجين الى مزارعهم ، ومعهم معاولهم وآلات الزراعة . فلما رأوا جيش المسلمين ، ولّوا الأدبار يصيحون قائلين : هذا محمد والجيش معه . وقال الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، لما سمع قولهم : « خربت خيبر . انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وكان في خيبر احد عشر حصنا ، وكان اليهود فيها مسلّحين ، وهم اشداء يقاتلون اقوياء ، والسلاح عندهم كثير . ودارت الحرب بين المسلمين واليهود ، وقاتلوا قتالا شديدا (١) ، وبدأت حصونهم تنهار امام هجمات المسلمين الواحد تلو الآخر ، حتى فتحوها كلها ؛ واستسلم اليهود ، وسألهم الرسول على ان يبقوا في ارضهم يستغلونها ويكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم ، والنصف الثاني للرسول يضعه حيث يشاء .

وكان من احسان النبي الكريم معاملة اليهود في خيبر انه كان من بين ما غنم المسلمون ، حين غزوها ، بعض نسخ من التوراة ؛ فطلب اليهود ردّها ؛ فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بردّها اليهم . « محمد حسين هيكل » .

لقد عامل النبي يهود خيبر معاملة حسنة ، مع انهم حاربوه حربا شديدة لأمرين : الاول ان خيبر ارضها واسعة ، وهي غنية بالحدائق والمزارع والنخيل ؛ وهذا كله يحتاج الى الايدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام على زراعته .

والثاني : بسقوط خيبر انتهى بأس اليهود ، ولم يعد بامكانهم اي خطر على المدينة ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ابدا .

---

(١) دامت الحرب بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام ستة اسابيع .

وبعد ذلك اذعن اهـل فدك من اليهود ، فصالحوا الرسول على نصف اموالهم من غـير قتال ، وكذلك يهـود وادي القرى . واما يهود تيماء ، فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال . وبذلك دانت اليهود كلهـا لسلطان النبي ، صلى الله عليـه وسلم ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في شبه الجزيرة العربية ؛ واصبح النبي واصحابه في مأمن من الشمال ، من ناحية الشام ، كمـا صار من قبل في صلح الحديبية بمأمن من ناحيـة الجنوب .

وهكذا امن رسول اللـه واصحابه شر قريش واليهود ، وتفرغ لنشر رسالته الخالدة العالم اجمـع ، وارسل رسله الى الملوك : هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، والى النجاشي بالحبشة يدعوهم الى الاسلام . وما مضى ثلاثون عاما على ارسال تلك الرسائل حتى اصبحت تلك البلاد في قبضة الاسلام ، ودان اكثرها بالاسلام ؛ ذلك الدين القيم ، الذي يجمع بين الروح والمـادة ، دين الكمال ، دين الله جـل شأنه ، الذي يحرر العقول لترى ، والقلوب لتبصر ، والذي يضع للانسان في حياة العقيدة ، كما يضع له في نظام الجماعة ، قواعد عامـة توازي بين سلطان الروح وقوة المادة ، لتبلغ بالانسان الى غاية الكمـال ، ولتبلغ بالجماعة الانسانية ، بفضـل ذلك النظام ، الى خير مكان اعد لها بين كائنات الوجود .

لقد كان الاسلام دائما اغنى ما يكون في الجوهـر ، وابعد ما يكون عن فخامة المظهر ؛ وقد جاء الـى هذا العالم فاحدث اكبر انقلاب خلقي ، واعظم ثورة على الوثنية والظلـم والفساد ، واضخم حضارة مثالية انتشرت في مشارق الارض ومغاربها في اقـل من مائة عام ، فغيرت التاريخ في زمن يكاد يكون مجرد لحظـة من صفحات التاريخ الطويل ، اذهل المؤرخين ، وحير المفكرين .

المراجـــــع

١ ــ القرآن الكريم وعـــدد من التفاسير .

٢ ــ التاج الجامع للأصول « الكتب الستة » ، الشيخ منصور علـــي ناصـــف .

٣ ــ سيرة ابن هشـام .

٤ ــ شرح سيرة ابـــن هشام للسهيلي .

٥ ــ امتاع الاسمـــاع للمقريزي .

٦ ــ تاريـــخ الطبـــري .

٧ ــ تاريخ ابـــن كثير .

٨ ــ حياة محمد ، محمد حسين هيكل .

٩ ــ الرسالة الخالدة ، عبد الرحمن عزام .

١٠ــ العرب واليهود ، الدكتور أحمد سوسة .

١١ــ التاريخ اليهودي العام ، سابر طعمة .

١٢ــ اليهود بين الدين والتاريخ ، سابر طعمة .

١٣ــ اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، زكي شنودة .

١٤ــ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزه .

١٥ــ سيرة الرسول ، صورة مقتبسة من القرآن ، محمد عـــزة دروزه .

١٦ــ عصر النبي ، محمد عزة دروزه .

١٧ــ خاتم النبيين ، الشيخ محمد ابو زهرة .

١٨ــ اليهود في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة .

١٩ــ اليهود في شبه الجزيرة العربية ، الدكتور محمد رشيد المقيلي .

٢٠ــ مكايد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني .

٢١ــ المفسدون في الأرض ، ناجي .

٢٢ــ تاريخ اليهود في بلاد العرب ، اسرائيل ولفنستون .